

صفحات من الذاكرة

أجرى الحواري: جاسم عباس

وظروفهم، الا ان قاسما مشتركا يجمعهم هو الحنين الى الايام الخوالي، «القيس» شاركت عددا من هؤلاء الافاضل والفاضلات في هذه الاستراحة.

الرعيل الأول في الكويت تخضرموا فترتي ما قبل النفط وما بعده، فقاوسوا مر الفترتين وذاقوا حلاوتها، عملوا وجاهدوا وتدرجوا، رجالا ونساء، الى ان حققوا الطموح او بعضا منه، ومهما اختلفت مهنتهم

عبد الرحمن الصغير؛ ساحة الصفافة لعبت دورا مهما في تجارة الترانزيت

البضاعة الداخلة والخارجة من الصفافة يفرض عليها جمرك

بالسوق كانت كثيرة ومشهورة منها الدلمة، والزمل والبشوت والتناكة، وبالقراب من الساحة بناية يوسف بهياني كانت تضم اول اذاعة عرفتها الكويت التي افتتحت عام 1948م واول من نطق بعبارة «هنا الكويت» صاحبها رضا يوسف بهياني، وسوق الغنم شرق الصفافة فيه عدد من الجوارير، وكان ينشط عندما يغادرون اصحاب القوافل الصفافة، وسوق البقر يؤدى الى الصفافة، وايضا سوق الحمير.

الجمرك البري

تأسس الجمرك في عهد الشيخ مبارك الصباح لاختذ الضرائب على البضائع الداخلة والخارجة، واول عامل على استلام المبالغ كان احد عماله يدعى «ابن دهيان» كما عين المرحوم صالح الفضالة مسؤولا عن البضائع الداخلة، والضريبة يطلق عليها «الودي»، ومن ثم جاء صالح العسكر، وفي عام 1928 تم تعيين المرحوم مرقوق الطحيح مكانه وكان هؤلاء يجلسون على مكتى بوابة السوق لمراقبة الجمال والحمير الخارجة والداخلة من هذا المنفذ.

وقال ابو يوسف: وقد ازيل المبني واقیم آخر بالقرب من بوابة الشامية.

سلة الصفافة

وتذكر الصغير ما جلبته القوافل من البضائع لبيعها او تبادلها مع السكان والتجار، وما تجلبه القوافل القادمة من البادية منها: السمن

والاقط والجسراد، والفسقع، والصفوف والبلبة (بعر البعير) والعديق، والنبات الصحراوي الطبي، وكان رجل المادبة يحمل معه من الصفافة او اسواق الكويت القمح والخبز والقمح والبقوليات والاصناف تاتي من العراق ومعها سلعتها على الحمير، ولهم موقع خاص يسمى «الخكرة»، وكان يسمى الواحد منهم «خكري»، وهو من بدو العراق، والخاكرة بضاعتهم الحبوب والشعير والغنم، وكانوا يهربون الشاي حتى لا يدفعون الجمرك (الضريبة).

ساحة الاعياد

وساحة الصفافة للتجارة والتقاء القوافل الا انها لا تخلو من الاحفالات والمناسبات التي كانت تقام فيها الفروقات الشعبية والعرضة بمشاركة الحكام والسيوح والمسؤولين وكانت الفرق الشعبية تتجمع وحولها الناس.

وقال: شهدت الساحة تجمع الاطفال في الاعياد، وهم يركبون الدوارف وام الحصن، وكان المصورون يلتقطون الصور لهم بدءا من اناشيد واصحاب الحمير كانوا يستغلون الاعياد لتاجيرها وكانت الحناء تغطي راس الحمار وجسمه وكانت الساحة مزينة بالاعلام.

وبعد ان تطورت الكويت بدأت القوافل تقل، ونقلت السلع باللواريات، فاصبحت الساحة لا تخلو من محلات تصليح السيارات، وكذلك حصل اصحاب سيارات الاجرة على موقف لهم وبلطت الساحة وازيلت العماريات والعشيش، وفي منتصف الاربعينات ضمت الساحة كثيرا من المحلات وحتى المقاهي المبينة من الجندل والبقار، وتطورت، وبقيت ساحة الصفافة بمفاهيمها التي تفتح ابوابها حتى الفجر مع بيع الحمير والاعغام، كما كان يعقد الكويتي التوجه يوم الجمعة لبيع ما لديه او ان يشترى.

وفي بداية الخمسينات هي الحد الفاصل لتغيير الصورة للصفافة الى ان وصلت الى ما عليه الآن.

- الصفافة: صخرة مساء، والجمع صفا سميت لكثرتها فيها.
- عرضة: روضة شعبية حماسية.
- عمارية: سقف هرمي يشبك بالجريد والخصم المنسوج او الخيش.
- خكري: رعاة من بدو العراق يتصفون بالطيبة والبساطة.
- تناك: متحرف في صنع الابريق والمحاقين والتلحيم بالرصاص.
- الدلمة: منطقة خلف عمارات جوهرة الخليج، كلمة تعني المستنقع او الارض المنخفضة او ساحل طيني.
- رمدان: منطقة في جنوب القراف بالقرب من السوق بنيت من الرمد والطين.
- زل: تسمية تطلق على السجاد اصلها من شرق افريقيا.
- لوري: سيارة شاحنة كبيرة صندوقها الخلفي من الخشب.



عبد الرحمن الصغير

السيارات، وانتكر منهم ناصر يوسف العبدالجندل وشريكه علوم رضا تقي، ويوجد في الساحة مبنى اللاسلكي، وكان عدد من القاهي على الساحة مباشرة انتكر مقي نسيب حجي طالب، ومقهي عباس وزمون وابوناشي بعد ان انتقل الى الصفافة، ومقر الجمرك البري القديم، وسجن قديم كان خلف معرض فوردي، وهو بيت عربي فيه عدد من الخزف، بالإضافة الى توقيف المديرة ويقع بداخل قصر ناييف.

وقال ابو يوسف: انا شاهدة على هذا منعه يعاقبون بالخيزران، وعن تخطيط واختيار موقع الصفافة الذي يدل على ان التفكير كان من قبل اناس خطاوا ونفذوا لخدمة الكويت واللور الساحة من الناحية الاقتصادية بالقرب من الان العامومخل حدود المدينة، وداخل السوق، وبالقراب من الشامية منطقة الابر العديدة، وبالقراب من الساحة من الناحية الشرقية توجد حفرة تتجمع فيها مياه السيل وتتخذ شراب الدواب وتسمى «السيل»، وسورت هذه الحفرة لفترة واخيرا ردمت فكانت القوافل تستريح حول هذه الحفرة، ولااستحمام.

وقال اصحاب القوافل كانوا بحاجة الى الخيالات بالقود لذلك تجد موقع الصفافة بالقرب من سوق الصرافين وسوق الغربلي الذي كان من اكبر الاسواق وينتهي عند شارع الجديد الذي يطل على الصفافة، وسوق البشختات يؤدى الساحة ونهايته دروازة العبدالرزاق، والازقة التي تؤدى الى الصفافة وتلقني

عملت صرافاً لأكثر من خمسين سنة.. وأصحاب القوافل كانوا يضعون أماناتهم عندي

في مستهل لقائنا مع الحاج عبدالرحمن علي الصغير تحدث عن ساحة الصفافة، وعن الوضع التجاري في هذه الساحة التي كانت المنفذ الوحيد البري للكويت على مدى السنوات الطويلة عبر تاريخ هذه الارض قال: ولدت عام 1919، وانا ابن السوق بذات عمل وانا صغير في الشامية من عمري كنت ابيع البرادان وهي الخيشة الثالفة او التي لها فتحة، اقوم بتصليحها وبيعها في ساحة الصفافة، وكنت اخطب خياش الشليف التي كانت تتخذ لنقل وتعبئة اللومي الاسود المحفف

التجارة

وتحدث ابو يوسف عن التجارة التي لعبت دورا مهما في حياة كل من سكن الكويت من مقيم او مواطن او عابر فقال: النجاح التجاري في الكويت كان يعتمد على التجارة العابرة (الترانزيت) بحرا او برا، وكانت البضائع تحمل على ظهور الجمال في القوافل الصحراوية من والى العراق والجزيرة العربية حتى وصلت قوافل الكويت الى حلب وبغداد وتركيا، وحتى في البحر وصلت سفننا الى جنوب الخليج العربي والهند واندونيسيا.

وكان خط ساحة الصفافة منها وغيرا في جانب الفرضة، واصناف ابو يوسف كل هذه القوافل البرية كانت تتكون من مجموعة تجار يستخدمون الجمال والبغال وكان بعضها ملكا لهم والبعض الآخر يتم استئجاره من بعض القبائل.

كانت حركة التجارة في تلك السنوات حركة شاملة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وغنية بموارنها، فكان الفحم النباتي والجلود والغنم والماعز والحبوب

تستورد من جنوب ايران، وكانت الاحساء والبحرين والبصرة تنتج التمور والعلف والكويت كانت تنفذ عن باقي دول المنطقة في تجارة المساء، فكانت هذه القوافل تستقر في ساحة الصفافة وكل ما اقله ان تجارة الترانزيت لعبت دورا مهما في الكويت.

والاشاء ابو يوسف بموقع الكويت على الطريق التجاري الصحراوي بين الخليج والعراق والشام على الطرف الشمالي والجزيرة العربية جنوبا، فكانت

التجارة البرية اقل معوقات من البحرية رغم وجود القبائل المناوئة وقطاع الطرق، وكان التهريب قبل النفط منتشرا في الصحاري خصوصا المواد الغذائية والتوابل والسلاح.

وقال: الحرف الصناعية قبل النفط كانت ايضا من البضائع المهمة للقوافل المغارة ومنها: ابوات الصبيد، وصناعة بيوت الشعر والخيام، والملابس والعباءات النسائية، بالإضافة الى المواد الموجودة المستوردة من الهند وكان الكويتي اذا احترف في صنعة اجادها وامتلكت خبرة في صناعتها مثل الحاديين الذين اتمتوا صناعة السكانين والمطابق وغيرها، خصوصا احنة البغال والخيل والاباريق للقهوة والشاي، وابوات لا تخصص ولا تعد كلها تجدها في اسواق الكويت القديمة، وتتجمع في الصفافة.

وقال الصغير: عملت في سوق الصرافين صرافا اكثر من خمسين سنة، وكان عدد محلاتنا حوالي 15 دكانا، وكنا نستقبل اصحاب القوافل الذين يبدلون عملاتهم الى الريال السعودي والدينار العراقي واليوماني اليراني والريال النمساوي، وكانت عملتنا الروبية الهنيدية، وكانت الحكومة تعلق اعلائتها ونشراتها على حائط كبير وسط السوق قبل صدور جريدة الحكومة الرسمية الكويت اليوم، عام 1964، وكان هؤلاء تجار الترانزيت بعضهم يضعون اموالهم امانة عند بعض الصرافين الذين يثقون بهم، فكانت علاقتنا بهم قوية، وبعضهم يضع نفوده الى الموسم المقبل، وايضا كنا نقرضهم مبالغ حتى عودتهم في السنة او المرحلة المقبلة.

وقال ابو يوسف: كنت اتزبد على ساحة الصفافة كل يوم تقريبا للصراف، وبيع الخيش (البرادان) في بداية عملي في السوق.

ساحة الصفافة

وتحدث الصغير عما شاهده وهو صغير يعمل بين الصرافين والبرادان والصفافة، وما سمعه من الابرأ والاجداد قبل عام 1919، قائلا: ساحة الصفافة وما يحيطها من شرق وغرب سوق التناكة او الغربلي، كانت هذه المناطق قبل ذلك عبارة عن مقابر قديمة اندثرت عبر السنين، ولكن كل ما شاهدها مخرج سوق الغربلي عند انشاء شارع الجديد بعض

■ أول إذاعة عرفتها الكويت افتتحها رضا يوسف بهياني عام 1948



● ساحة الصفافة 2006



● بعض الجمال في الساحة عام 1928